

صحيفة كريمة

ريثما...



شعر

رہنما...

سعيدة عفيف

رَبُّنَا...

ديوان شعر

الطبعة الأولى 2014

عنوان الديوآن: ريثما...

المؤلف: سعيدة عفيف

الحقوق: جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة: الأولى 2014

رقم الإبداع القانوني: 2014 MO 0649

ردمك: 978-9954-33-254-2

المطبعة: SAFI GRAPHE – الهاتف: 0524 62 11 08

لوحه الغلاف: الفنان التشكيلي الهولندي Piet Mondrian

إهداء

إلى عشاق الكنيسة في أبيه وأرقى مجلياتها، وللمعتقدين بقوتها في الوجود..
إلى ولدي الحبيب، محرم وفاطمة، اللذين أنشأني على حب الكنيسة وحسن
المعرفة..

إلى قرني العين والنفوس، عمر وسهري،

أهدي هذا الديوان..

نُوبه

بشموخ الحرف وضوح المحبة والعناية التي غمرني بها
كل من أساترتي الأجلاء، المهري نقوس ونبيل محمود
والركتور عولو أبو زينة، لا يسعني إلا أن أقدم لهم
جزيل شكري وامتناني لمداررتهم وتوجيهاتهم
وتشجيعاتهم، كيما يوسع النور بروح الكلمات ويتفتق
بتلات مشرقة بين يريك عزيزي القارئ.

لكم في القلب محبة لا تنتهي..

تقديم

يكاد شعرها يضيء!!

هذا الديوان هو الأول للشاعرة سعيدة عفيف، والشعر في لغة غارقة بالشعر مغامرة أكيدة، فتاريخ اللغة كله عيون ترقب كل بيت شعر يولد، فكيف بديوان جديد يُمتحن أمام ثقافة موعلة بالشعر وكأته البدء والختام؟.. هذا التقديم هو محاولة لرصد أهم الموضوعات التي يزخر به الفضاء الشعري المضيء للشاعرة،.. هذا النسج للشعري والفكري يحقق ما يراه أدونيس جوهر الشعر الحديث ((إذ أنه يحقق في بنيته وفي رؤيته علاقة عضوية بين الشعرية والفكرية، ويفتح أمامنا بحدوسه واستبصاراته، أفقاً جمالياً جديداً، وأفقاً فكرياً جديداً. ينبثق هذا النص أساسياً من نظرة لا تجزئ الإنسان إلى حس من جهة، وفكر من جهة ثانية، أو إلى عاطفة وعقل، وإنما ترى إليه كلاً لا يتجزأ: طاقة وعي موحد. ويقف هذا النص، بخصائصه، من حيث إنه مكتوب، على الطرف المناقض للنص الشفوي.)) (أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب- بيروت، ط2، 1989 ص61).

في زمن تتهاوى فيه كل أسس عوالمنا القديمة، وتتهافت كل الخطابات السياسية والايديولوجيات العاجزة.. تبادر الشاعرة بخطابها الجمالي لتقدم تصوراً شعرياً يغادر كون القبيلة والجماعة والنشيد الشمولي الأحادي، لترصد نسيان الإنسان (تجاوزاً للصيغة الهيدجرية حول نسيان الوجود)، وتضع الإنسان-الفرد وليس الإنسان-المفهوم، في مركز الاهتمام، الفرد

بشؤونه وشجونته، بهزائمه وانتصاراته العامة والخاصة، بأحزان قلبه وأفراحها. تفتتح الديوان بهذه السطور من قصيدة الديوان الأولى (رهان)..

وذاك هوس.. أمشي

خالبة من كل زعامه.. أو كهانه

كذلك في قصيدة (يا أرض) وقصيدة (أحداث) تقارب هموم أرضنا وزمننا العربي العاصف المتوجع بحرقه نازفة، والسؤال طويل وطاعن بالألم، تسأل الأرض عما يحلّ بالإنسان والأوطان.. فهل العلة في الأرض أم في الإنسان أم هو الخلل في العلاقات الإنسانية والسياسية.. إلخ؟ وهل تبقى الأرض العربية أرض موت وانتظار..؟! وفي قصيدة (حوار سفلي) تضعنا في قلب المأساة وعمق الهول.. حيث الوجد الممتزج بالطين!

وعن أحوال نُحُول

وأفوام نزول

وعن خرائط بنقص طينها وبزبد عذابها

وعن خرائط بزبد طينها وبكبر وهمها

با لسبرة الطين مأساة الكون...

من هذا الإطار الاجتماعي العام، نتوغل في أرض الشعر والسحر! والشعر عند شاعرتنا شعر الأعماق الذي يتوسل بالمرئي ليبلغ اللامرئي.. وهذه مهمة الشعر وروعته وسرّ كلّ إبداع فني. إنّ الشعر الحديث، معظمه، متخّم بتهويمات لفظية وتراكيب لغوية مبتكرة على صعيد الجملة، ولكّنه هائم وشبّحي على صعيد القصيدة، لا نكاد نلمس فيه الوحدة الكلية العضوية، فيكاد يرتبك المعنى أو يضيع. فالبناء العضوي المتماسك

للقصيدة يمنعها من التبدد في المتاهات اللفظية، فيفقد المعنى الألفاظ حتى التوهج الشعري. يقول عبد القاهر الجرجاني ((إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها. فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين.)) (أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، المدني القاهرة-جدة، ص8). الألفاظ لا تبهرنا كألفاظ بل طريقة استخدامها والسياق الذي ترد فيه، فما الألفاظ إلا آلات عود.. فهل يطربنا العود أم يطربنا العواد؟! والشاعر هو ساحر الألفاظ حين يتقن نظمها وفق سياق شعري محكم ومضيء..

الكائن الموجل..

=====

لكأننا نقرأ في قصيدة سعيدة عفيف أكثر من قصيدة! والغنائية والعدوية التي نستشعرها عند قراءة قصائدها هي غنائية المعنى، المعنى المضاعف بصورها وتعابيرها الغنية والثرية، حتى يصح في شعرها قول الجرجاني ((ترسل المعاني على سجيته، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا ثركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها.)) (أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، المدني القاهرة-جدة، ص 14).

تتميز كتابات الشاعرة بحضور السؤال الذي يفكك الوجود شعرياً، ولا أغلو إن أسميتها بـ (سيدة السؤال)، ما تكتبه وكأنه سؤال طويل ينتظر جواباً، جواب التغيير، أليس الكون كله محاط بعلامة استفهام هائلة؟! وما وجودنا نحن إلا أجوبة متنوعة لأسئلة كبرى. وخير من أنصت ويُنصت لأسئلة الوجود هو المفكر عموماً والفنان خصوصاً، أليس تاريخ الإنسان

كلّهُ هذا التناوب بين السؤال والجواب، وكل ارتقاء للوجود البشري من حال أدنى إلى حال أرقى هو إجابة صحيحة لسؤال مصيري وكبير. كما نجد لدى هيغل، هذا التحديد لجوهر الفن كسؤال! ((لكن الأثر الفني ليس لذاته ابتدائياً- كالتبيعة الخارجية- بهذا القدر، بل هو بالجوهر سؤال...)) (هيغل، دروس في الاستطيقا – مجلد1، ت. وتقديم ناجي العونلي، منشورات الجمل 2014، ص 101).

ومن هذه الأسئلة سؤال الشاعرة عن علاقة الرجل-المرأة، هذه القضية أولتها الشاعرة اهتماماً واضحاً.. (بنيلوبي العربية) المرأة التي تعرّضت لأعظم حيف وأفدح عذاب، أين منه عذاب انتظار بنيلوبي؟ وكم عانت من انتظارات مريرة؟ انتظارها لعودة الرجال من حروب طاحنة وخاسرة!، انتظارها لعودة الرجال من العمل، الذي ما كان إلا حجة استبعاد لها!، انتظارها لحرية موعودة بعد الانتهاء من بناء الأوطان!.. كثيرة كانت انتظارات هذا (الكائن المؤجل) والمنذور لحياة محورها الرجل، المرأة كانت ولا تزال تعاني من تلاعب المجتمع، المنتفخ والمنتشي بقيمه الذكورية، بمصيرها (حضور المرأة- الأنثى وغياب المرأة- الإنسان). هذه النظرة للمرأة لم يسلم منها حتى أكثر مدّعي الثقافة والتنوير ضجيجاً، فنرى حضوراً لصفاتها الأنثوية وتغييباً لجوهرها الإنساني. إنّ الكثير من النساء، مع الأسف، يتقمّصن هذه الرؤية الذكورية ويعكسها في خطاباتهن وأعمالهن الأدبية، أو يشطحن بتبني بعض خطابات الحركات النسوية التي تغلو وكأنّها خطاب ذكوري معكوس، فتضيع المرأة هذه المرة كأنثى، ودون أن تفوز كإنسان. إنّ ما يُحسب لشاعرتنا هو التناول الناضج والواعي لهذه القضية، إنّ قصائد مثل (لقاء أخير) و(امرأة من هناك) و(قبس من نار) ترتقي فيها الشاعرة إلى مستوى إبداعي رفيع، ونجدها تؤسّر الخلل بالعلاقة اللاإنسانية وليس في أطرافها. فتحلم بثورة نبيلة، فهي لا تريد بالطرف الآخر شرّاً ولا تدميراً، ولكنها تطالبه إمّا بعلاقة الأحرار أو فالموت عندها أهون من علاقة عبودية.

(لقاء أخير) نهاية لعلاقة من طراز قديم ومحاولة لاستئناف الحياة بقواعد جديدة وشروط جديدة للعلاقة (بل عناقا فاترا كنت تستحقه/ يوم الوداع/ وأسلم الروح الأخير..). تحلم عبر إبداعها بإحلال علاقة إنسانية تعيد للكائن البشري إنسانيته وكرامته وحرية، أرجلاً كان أم امرأة؟ تمتلك الشاعرة قدرة متقنة لنسج الشعري والفكري، دون الانزلاق إلى خطاب مباشر، هتاف أو شعار، فهي تمارس التفكير شعرياً وبراعتها الشعرية تظلّ متحكّمة بالشروط الإبداعية للشعر، ولا تضحي بالشعري على صعيد الجملة أو الصورة أو بنية القصيدة ككل، فتشع قصيدتها وتتوهج شعراً. ترى وجود المرأة الاجتماعي نتيجة تحكّم خلل أشمل وأكبر يُفقر وجودنا الإنساني كلّهُ، خلل ضارب في أعماق هذا الوجود المعطل عن الحياة كما في قصيدة (سقوط)، فما تسمّيه (الوجود المعلق) هو سيرة أحياء أموات يسيرون في جنازة أبدية، لتنتهي بالسؤال (آية حال؟ وأي مأل؟.....).

لا ترى الشاعرة العالم بلون واحد، ورغم كلّ المآسي فهناك ألوان فرح وبهجة، وهناك لحظات إشراق تخفّف عن الروح أعباءها وآلامها، لتستمر الحياة يتناوبها الليل والنهار. في قصيدة (في عيد الحب) رغم أصوات الظلام التي (تفتي بسحل وردة من لونها الأحمر) تنتزع القصيدة نفسها من منطقة الظلمة وتمضي إلى مناطق البهجة والنور (بكل الحب الذي كان/ قبل كل الممل وكل النحل/ وبكل الحب الموجود/ وبكل ما سيأتي). وقصائد (أبجدية) و(بقاياك) و(شطحات) و(مقامات) و(أنوثة) و(معنى أخضر) و(موجاته) و(كوبرا) و(حكاية عمر) و(يا لصوتك)، أي ما يشكل نصف الديوان، نماذج مضيئة لقصائد تقارب الحب بكل أحواله وأطواره، من تلاقٍ وافتراق، من حضور وغياب، من اشتعال وانطفاء، هذا المبرّح الأبدي للقلب البشري، ومسكّن إلتياجات الروح ومبدّد وحشتها.. بأسلوب يتهدى من حسيّة مرهفة حيناً إلى صوفية قلقة أحياناً أخرى. كلّ قصيدة تستدعي الكثير من القول يستغرق صفحات و صفحات، ولكنّ مقام التقديم لا يسمح بالاسترسال والإسهاب في موضوع أروع ما فيه ألا يتوقف

المقال فيه! والشاعرة في هذه القصائد تتألق بابتداع الطريف من الصور بعيداً عن الابتذال والإتباع، والأفضل أن نذهب إليها ونستمع بما فيها من صور وتعابير مباشرة بلا تَوَسُّط يفسد جمالياتها. وهي لا تفيض بموضوع الحب فقط، وتصنيفها في هذا الإطار لا يعني أنها بعيدة عن الملابس الاجتماعية والفكرية، ففي الشعر الحقيقي يكون مستوى التناول متعدّد المستويات تحتمه الرؤيا الكلية للشاعر، والتي يصعب فيها فصل الجزء عن الكل، وإن اضطررنا لذلك فهو لضرورة البحث والتقصي.

الخلاص الجمالي

=====

إن الشاعرة تؤسس خطاباً جمالياً، تتصدى من خلاله لأزمة القهر التي تضيّع وتستلب الإنسان، وخصوصاً المرأة في مجتمعاتنا، رؤية جمالية أسميها بالخلاص الجمالي. وكأنها تتلمس منهجاً في الكتابة يفصح عن رؤية عميقة إلى الفن ووظيفته الوجدانية والخلافية للإنسان. إنّ انتهاكاً خطيراً يُرتكب بحق الشعر، والفن عموماً، إذا اتّجه العقل إلى البحث عن قيمة نفعية يمكن قياسها كمياً، كما في العلوم الاجتماعية، فما يضيفه أو يغيّره الفن في الوجدان الفردي للإنسان هو خارج الحسابات الكمية. فالشعر يبعث الدفء والطمأنينة في الوجدان الفردي للإنسان المنهك في ليل الوجود الموحش، ويرفعه إلى شرفات يطلّ منها على الأزلي في عالم حافل بالعابر والمتغير. إنّ الوجدان في هذا الوجود مبطنّ بالمسرة، والألم مجبولٌ مع اللذة، والفرح يرافق الحزن، فلا شيء نقيّ وخالص، والليل يلد النهار ليشرق يوم جديد من صراع الأضداد وتبدّل الأحوال واحتدام المشاعر..

((ولكنّ ما يدوم إنّما يؤسسه الشعراء..)) (هلدرلن)

وفي عالم خطير ومهدّد، لا يجد الإنسان ملاذاً يأوي إليه ويطمئن له، ويعزّيه عن كل الخيبات والانكسارات، غير الفن والأدب عموماً والشعر خصوصاً.. يعرض د.عثمان أمين لرؤية هيدجر عن الشعر ((إنما الشعر)) (ركيزة) التاريخ، يهدي الناس بنوايح كلماته ويلهمهم بكرائم رؤاه: تلك ماهية الشعر في نظر هيدجر. أما رسالة الشاعر فما أجملها من رسالة وما أحوج الناس إليها في كل عصر! رسالته أن يقف إلى جانب الفيلسوف، فيذكر الإنسان، وقد أنكروا روحه في سعيه الدائب لتحقيق المعاش، حتى أصبح خادماً للزمان الذي يجري بغير توقف ولا رحمة، بأن هنالك أشياء عظيمة حقاً، ويوظف فيه شعوراً بالاطمئنان والتفاتاً إلى الباقي الذي لا يتحول ولا يزول.)) (مارتن هيدجر، في الفلسفة والشعر، ت. وتقديم د.عثمان أمين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1963، ص 25). إنّ النزوع الجمالي عند الإنسان هو الذي يرتقي به نوعياً وروحياً فوق الوجود الطبيعي للكائنات الأخرى والموجودات، مما يجعل من المشروع التحدّث عن حاجات جمالية أساسية عند الإنسان. ((الحاجة الجمالية هي من أرسخ الحاجات التي تميّز الكائن البشري، ومن أكثرها ثباتاً وقوة.)) (إتيان سوريو، الجمالية عبر العصور، ت. د.ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت-باريس ط2 1982، ص 315).

قصيدة (ريثما) التي صار عنوانها عنواناً للديوان وباختيار موفق وذي مغزى، تستعير الشاعرة هنا فضاء الرسم بألوانه وسحره ووظيفته مكاناً للخلق، هنا الضد المشرق والزاهي، لتلك العلاقة القاتمة التي حكمت علاقة الرجل بالمرأة، وبعمر إدراكٍ وتمكّنٍ فائقٍ في رسم الصور ونسج القصيدة، تبدع الشاعرة في بناء معمار فني برشاقة الفنان المرهف والمنهمك في عملية خلق جميل..

**لكم بئملني هذا الدمار الأنيف
لسراب البغين الباهت
فنشرق وجها مئمل الأبعاد**

تذكرنا بتلك العصور السحيقة للمرأة-الخالقة، ولكنها ترتقي هنا إلى مشارف عصر جديد وأرقى يعيد للمرأة حقها المستلب، فهنا المرأة عنصر إيجابي وخلاق، هنا انتصرت الثورة النبيلة لم تُرق دماً أو تُسبب جرحاً، ولكنها خلقت كوناً مشتركاً وحالماً وجميلاً لهما، هذه القصيدة الملونة والإيجابية، نشيد حرية وحب وخلق، وكأنها قصيدة خلق حديثة! هنا مرسم بحجم الكون واللوحة حلم حياة جميلة!

في قصيدة (شظايا الروح) ننتقل من عالم الألوان إلى عالم الأنغام. عندما تتشظى الروح في زمن الانطفاء والانكسار.. يهرع المغني القديم فينا ليتذكر (تذكر أورفيوس اللحظة) الغناء الخالد للإنسان فالجميل عندها ليس فقط هو ما يسعد، الجميل (ويرمم على مهل/ شظايا الروح..)، فترميم الوجدان (الروح) هو بناء روعي للإنسان يختلف نوعياً عن عمليات البناء المادية والواقعية، هو أشبه بالسحر! لا يمكن أن نتصور الجمال يرتكب جنابة أو يسبب كارثة، فصروح الإنسان الحديث لن تسعدنا ما دامت تخلو من الحس الجمالي والمثال الجمالي!

بقصيدة (سيدتي) يختتم الديوان قصائده ولا ينتهي، فهو يفتح على أفق الجمال والجميل، ففي هذه القصيدة طرفان متقابلان ومتضادان، فهذا الكون الحافل بالتناقض والصراع بين الفرح والحزن، في طرف منه يتبدى العنف والوحشية والقبح..

**ويبادتنا
لغصن الزبون ورفيف الحمام**

لفلّكَ وزهركَ الأعطر
وبأننا، في النفس الأخبِر
خبا منا البريقُ
وأضعنا الطريفُ

وفتُك الإنسان بغصن الزيتون رمز السلام، ورفيف الحمام الذي يستدعي إلى الذهن، حالاً، حمامة بيكاسو البيضاء وهي تقطر دماً!.. وفي الطرف المقابل تشعّ هذه السيدة بابتسامتها المحيرة (ها يتوقف الوجود حائراً/ ويمتثل بين يديك)، موشحةً بألوان الطيف، تشخص كمثل متعالٍ للجمال..

وبا سبدني،
لعلك في عليائك نضحكبن
من فوضانا..
ومن الزمن الهارب منّا
فجودي بابتسامه غراء
تبعث الدفء جهاراً
بأحشاء الكون الموحش البارد

تلك نظرة من علٍ تراقب المفارقة الكبرى للوجود، الذي لا يكون شئ فيه إلا هو وآخره متعانقان! فالسيدة تضحك في عليائها ضحك إشفاق ورتاء.. ليس (على) فوضانا، بل (من) فوضانا.. أملٌ يتشبث بابتسامة غامضة تبعث الدفء في كوننا الموحش.. فمن هي هذه السيدة التي تمثل قطب الجمال المتعالي مقابل العنف والوحشة والفوضى في هذا الكون؟!!

كل فن مفرط في جماليته هو فن مفرط في إنسانيته بالضرورة! هذا ما قرأته في ديوان الشاعرة المبدعة سعيدة عفيف، هذا التقابل بين وجود

عنيف ومتوحش وفوضوي، ومثال متعالٍ للجمال هو الأمل بالخلاص.. هنا شاعرة بقلم رشيق، تفتصد بالألفاظ وتسرف بالمعاني.. وإن كان الخلاص الجمالي أمراً لا تنفرد بتناوله شاعرتنا، فإنها حتماً تتفرد وتتميز بطريقة كتابتها الشعرية، ما يجعل ديوانها هذا عملاً شعرياً مهماً ولافتاً، بدأ بـ (رهان) كبير، استوفى شروط نجاحه الشعري عبر قصائده، وانتهى إلى جمال مشرق ومبتسم في (سيدتي).

ولا أجد أخيراً ما أختم به هذا التقديم، خيراً مما ختم به هانز جورج غدامير كتابه الحقيقة والمنهج ((غير أنني سأتوقف هنا. فالحوار الجاري لايجوز أن تكون له خاتمة. وسيكون تأويلياً بئساً ذاك الذي آمن بإمكان أن تكون، أو يجب أن تكون، له الكلمة الأخيرة)) (ت. د.حسن ناظم-علي حاكم صالح، دار أويا-طرابلس 2007، ص735).

فالكلمة الأخيرة تبقى كلمة القارئ المتذوق، والناقد المتفحص والمتخصص.

نبيل محمود
شاعر وباحث عراقي
بغداد 2014

رهان..

وذاث هوس.. أمشي
خالية من كل زعامة.. أو كهانة
من كل سياسة أو كياسة
من حب الأقدمين
وحب الكتب
أهرب من كل ما قرأت
من كل اللغات
ومن كل الانتهات والصور
ومن كل الأضداد والمرايا
ومن كل الظلال والحنايا..

وذاث هوس.. أمشي
فرح صغير من كلمات بحقيتي..
أهدده

وعبث..
وما تبقى مني،
وبعض من قصاصات
عابرة..
لم أحمل معي
فكرة مجيبة
تمنعني من شحذ السؤال
ولست أبدا نائرة
فالثورة ما عادت نافعة..

وذاث هوس.. أمشي
لأوراق الخريف
هسيس الصمت الكوني
يبدد وحشتي
أمضي وحيدة
لا أعرف أن أكون أحدا
وأمشي على قارعة الجنون

أرسم ضحكات في الهواء
وأشياء .. أشياء ما
وحيث لا تكون أرسم موتا
ورصاصات
وأكوام جماجم..

وذاث هوسٍ .. أمشي
يدوسني العمر
ألج بدايتك أيها العام الجديد،
لست جديدا على أية حال،
أنت شيء كباقي الأشياء
تنتظر كل الاحتمالات..
وها أشغال إبرتي بالقرب تنتظري
عبثا أحاول..

سمّ الإبرة يزيغ ويضيق
لا يسع خيط الشمس
فأخذك يا مسد الوجع الذي ينمو ولا ينام..

رفيعا تبدو من كثرة السفر

أرتق بك كل التمزقات النزقة
وإذ أتمادى في الرتق
تتسع كثقب الأوزون..

وذاث هوسٍ.. أمشي
كحكاية قروسطية لا تنتهي
أمشي.. بيني وبين الغياب
شارع طويل خال منك
ومن أعمدة نور
فيما مدنٌ.. مسافات
وأزمنةٌ غابرةٌ تبتلعني...

وذاث هوسٍ.. أمشي
أتحدى كل رهان واثق
في رتق كل قطع العراء
أو في إسماع رجع
على معزف من هواء..

يا أرضُ..

يا أرض،
ضاجع فيك الزاحفُ الإنسان
نكتاره منك الدم
ولون الغد والمصير
بين مطرقة والسندان
يا أرض، إن كنت تعلمين،
أهلي، مدائنك الباكية الثكلى
غزةُ بغداد مصر دمشق الشام
لا ينام لها جفن ولا
خبز الوجع بقمها يوما
ولا لغد يحلى..
كُفي.. كفاك ابتلاعا
والفظي من أحشائك
تواريخ التضرج والأنين

أحبي نفسك.. فكي قيودك
موتي عشقا فيك وتمردي
كي تدركي لوعة الآتي..
كيف تضنين؟

سيدتي يمشي العاشقون إليك
يغازلون الموت
يفجرون ما تبقى من نبض
فحني.. أنت الأم والوجه
أنت التاريخ والهوية والوطن
أنت المبتدأ والمنتهى
وأنت الخرافة والريح العاتية..
أفلا تتعنين؟

حلمنا بك حتى بنا الحلم ضاق
وانتحر

نتماهى بالحزن على أعتابك

نتيه.. نعود ونمني الأيام بك

أطفال نحن سيدتي

في تعلقنا بحبك

فماذا تقولين؟

يرحل الطغاة تباعا

حاملين بقايا

من هواء من طين وأحلام

من رؤى وأغان قديمة

غنت مجدا زائلا لحكام

خلفوا بالخلق غصصا من أسئلة

فكيف تردين؟

لم يبق في الأوردة دم يا سيدتي

لأحيك لك ثوبا يليق بك

من إعصار.. من أشعار..

لغسل الدم.. لسحق العار

ففي سوق نخاستك
امتصه غلاظ التجار..
من ناري، خمرتي
كلُّ ما بحوزتي،
صنعت أجنحة
لأهرب من ظلي من عتمتي
لأشِفَّ لأهيم
لأصعد لأتبه
لأنفي وأحترق
وأسقط
وأحول
رمادا عاشقا واهبا نفسه
لرياح كفيك
عسى تقبلين..

في عيد الحب

ماذا أقول لك في عيد الحبِّ

والكلامُ الجميل قد مات؟

ماذا أقول ..

وعهد الفيءِ الظليلِ قد فات؟

وأزمنةٌ عربيةٌ تملكنا

تيمتها الكراسي

وليست تهمُّ كل المآسي

تعهرُّ الحب

تُفتي بسحل وردة من لونها الأحمر

في زمن الخزي الأغر

لا عليك، عندما أُجبلُ الطرف

سأنسى كل ما قيل

وما يجب أن يقال

وستصاب لغتي بالخرف..

ماذا أقول لك في عيد الحب

وأنا أسقيك صبابة

وأحيك لك ودًا ترتديه

على مدار الثلاثمائة وخمسة وستين يوماً؟

دعنا نسطو على الفرحة القابع هناك،

ونكتب الولع نوتات على سلم الروح

المدوزن على كمنجات سفرنا الكوني

ولنعزف على أوتارنا هارمونيا

عشقنا وعطرنا وخلودنا

وتقاسيم من فتنة وخيلاء

إذ لا سقوط في الحب

ولا خطيئة..

ماذا أقول لك في عيد الحب؟

والعشق، هذي الوليمة

لأعشاب جسدينا

نحضرها عند اتلاف الروح

نوقد لها نارا هادئة

كي تنضج على مهل

وكيلا يتعسر وهج الاشتعال على شففتينا

وعلى توقد الأنامل

و حين تخبرني عيناك بلا وجل

بكل الحب الذي كان

قبل كل الملل وكل النحل

وبكل الحب الموجود

وبكل ما سيأتي

أغمزُ لك وحيًا

أن عند المنعطف القريب

نُبقي من العمر نورا

ومن أعشابنا زهرا

ومن فاكهتنا شعرا

وأهديك في يوم الحب

قوة وأوارا

.....

رَبِّمَا...

رَبِّمَا أَرْسَمُ وَجْهَكَ لَوْنَا

خَذِ الْمَرْسَمَ

وَكُلَّ اشْتِعَالِ الْأَلْوَانِ

وَمَا اكْتَمَلُ مِنْ لَوْحَاتِي

وَمَا لَمْ يَكْتَمَلْ بَعْدَ...

خَذِ شِرَاشِفِي وَأَغْطِيتِي

وَأَشْرِبْتِي السَّاخِنَةَ

وَأَشْيَائِي الَّتِي تَحُبُّ

وَالَّتِي سَتَحِبُّ بَعْدَ حِينٍ..

إِنْ كَانَ كُلُّ مَا يَكْفِيكَ لِتَدْفَأَ

بِفُصُولِ الشِّتَاءِ الْقَادِمَةِ..

رَبِّمَا أُنْسِجُ وَجْهَكَ حَلْمَا

خَذِ كُلَّ الْكَلِمَاتِ،

مُرْتَهَنِي ..
مهمازُ وجعي
ظلي الغائب
خوفي الهارب،
ما مضى وما سيأتي..
خذ كل المعاني التي تعنيك
وتُؤويك إليك..
أنا قائمةٌ هناك
واترك لي هذا الحلم أنسجه
زهرا مخمليا أنثره
أمام ناظريك
كيلا تنحرف الخطوات
وتضيق سورة الوقع في قدميك..

ريثما أعشق وجهك كونا
ضع حطبا بالمدفأة
وقلِّب حبات الكستناء على المشواة

سأعدُّ قهوة وإكليلا من الكرز
وشقائق نعمان لجلستنا
وحدثنا بعمر كل الحكايات..
نضمّر للصحو غفوة
للحرب خدعة
وللجريمة إصرارا وأثرا
ولخريف المعنى أريج الهمسات،
لهدوء الليل صخب الحب اللا ينتهي
ولعتمة الأشواق نورا
وماء..
وصفاء سريرة..

ريثما أخط وجهك حرفا

دُسَّ بين الحروف والفواصل

تعقيبا يدهش الكلمات

تولد فيك الجمرات..

تجري في دمي نهر انزياح

يُضيع كل المعاني المستهلكة
يبدد كل الأساطير
والإحالات الكاذبة..
تفتق كونا من نور ونار
لكم يثملني هذا الدمار الأنيق
لسراب اليقين الباهت
فتشرق وجها مكتمل الأبعاد
أرسمه لونا..
أنسجه حلما..
أعشقه كونا
أخطه حرفا..
فيكون...
.....

فبسُّ من نار

-1

لم يغب طيفك عني ..
ولم يبعد لحظة ..
فهذه أنفاسي الملتهبة
تلتهم شذا عطرك،
وضوع رائحة منك ..
يغري جسدي ..
ويعريه من كل الأقنعة ..
..يا لشروق ابتساماتك
يضيء عتماتي ..
يروى لهفاتي ..
يذكرني بأيامنا الخادعة ..
بيني وبينك ما لا نقدر أن ننكره،
ماء .. ونار .. وهواء .. وأتربة ..

وجدت.. وعهد.. وحنين.. وأجوبة

غير أني...

أمتطي صهوة جموحي،

وأمنياتي اليانعة

أنطلق في متاهتي..

لا أبالي..

ولا أفكر في العودة الموحجة..

أضيق.. وأضيق..

لتنتهي المسافات

في حدود

عينيك..

وأحلامي الضائعة..

-2

حينني سيات من نار

تجلدني،

تلتذ بتعديبي..

تقتلني آلاف المرات،

وتحيني..

كما الصمتُ الجسور على شفتيك،

ينبجس بركانا...

في حديث عينيك

الهاربتين دوما

ويرديني..

أتدري..؟

كرهت أن أكون لعينيك

شهرزاد التي لا تنتهي..

في ليال لا تنتهي..

بحكايات لا تنتهي...

فلا.. لا تنبس بشيء..

ولا تندهش..

فقد أحرقت مدن الوهم،

وأزمنة القهر..

على شفتيك..

يوم هوت قصور الخيال

تحت قدميك

وخرت من قيامها خاشعة..

-3

ابتعد!

كلي نار..

كلي زلزال..

كلي ثورة..

لا تقترب...

بحق هواء وساء..

أخاف أن تحرقك ناري

أن تتصدع من زلزالي..

وتحتويك ثورتي.. وشراري

لا تنزعج..

إذا أنا قلتُ مشاعري،

وثرت بوجه السجن والسجان

لم يخفني ذاك مرة..

إنما يحزنني حقا..

ويتعبني..

يا سيدي،

إني احترفت الأشجان ..

لأن مدينتي،

منذ الخطيئة الأولى،

تقهر كل شعور حر

تنبذ الأشعار..

تئد الأفكار..

وتدوس على ما تبقى فينا من كرامة الإنسان ..

لكني أعدك،

أن الحزن فينا،

لن يتتصر دوما..

وسيندحر أخيرا..

فنحن

لا نحب أبدا..

لا نسعد أبدا..

لا نحيا أبدا.. أبدا

في حضرة الأحران..

أبديّهُ

تمر لذائد الهنياهات
مثل خيط دخان رفيع،
مثل غموض المساءات
واختزال المسافات..
والعمرُ لحظات..
متى راح يا كبدي،
لا يعود..
ولا ينتظر في محطة الأزمته
ولا يواعدني بالأمنيات،
أنا الغريبة
المنذورة للهباء والعزلات..
والأفراح المؤجلة..

ما معنى أن نكون أو لا نكون؟
ما معنى أن أحتاج إليك بهذا القدر؟
وتجتاحني بكل هذا القهر؟؟

تتحايل

تباغثني بالبداهة،
وتغزل أوقاتي على نول رغباتنا المعطلة..

من أنت لتأتي في جبروت

تكتبني كقصيدة

تبعثرني كخطيئة،

وتنفث السم زخاتٍ بدمي..

تنثر بهارات الكلام على عفويتي

وتمضي من دون اكتراث...

وتطوي المرحلة؟؟

تغازلني..

تنسج ساتانا لتنورتي،

تنظم سوناتا لحكايتنا
تعزف نوتات لرقصتنا
تطوق غواياتنا
تعبر بي جداول ومفازات..
تأخذني إلى شرفات المنتهى..
تمنيني بالحب في زمن الخسارات
وتنصب لي المقصلة..

كرهت الحضور في الغياب
والغياب في الحضور..
كرهت اشتعال الروح
ومكر البوح
كرهت أوجاعي وأدمعي وأناقي
كرهت المأساة والمهزلة..

وها أكتب سُمَّك في جسدي
بحروف من ماء ونار

وها تنزف كلماتي على شغاف قلبي

معنى بلا قرار..

تنزّألما ودما

وبقايا رماد وقار

في زمن ضاعت فيه المرحلة..

يا كم خَلَعْتُك وخلعتك

وانسلخت منك

وابتعدت عنك

فانغرست فيك

علني أنسى..

وهل تنسى الشيطان فيروزها؟

وتسهو الشمس عن إشراقها؟

وينسى البدر تمامه؟

وتزيغ الأرض عن دورتها الكاملة..؟

يا عذابي السيزيفي..
الموشح بألوان الحياة والموت..
أرني خطى الرجوع
كي لا أتيه عن مسار
مشيته من دونك،
وكي لا يخذلني حدسي
إذا دهمتني الغربات
أو طوحتني الذكريات
وتاهت عني الأهلة والبوصلة..

يا سرّي المتعطّش للولغ في دمي
أنا كل النساء وكل النساء أنا،
أُخْرِجُ مَنِّي إِنْ إِسْتَطَعْتَ
إِقْتَلِعْ طيفك من مقلتيّ
وجنونك من سراييني
إِسْحَبْ حَرَارَتَكَ مِنْ أَحْشَائِي،
وشطحاتك من أضلعي

إنس لحظاتنا.. ضحكاتنا

همساتنا ونبضاتنا

خذ هديانك

وأحلامك

واذهب من زمني..

يا صرح وهمي الجميل!

في الأكوان نعمة

تشفيني من لظاك

وتعيد لي روحا مزقتها قسوة

والممتها عنوة

لفك شفرة أبجديتك المجلجلة..

امْرَأَةٌ مِنْ هُنَاكَ..

تلك المرأةُ هناكَ،

في الزاويةِ المعتمةِ،

على الكرسي المتآكل

والمائدة المهترئة..

تمسك بالكأسِ،

ومرمدةٌ ودخان سجائر من حولها

تحجب دوائره الرفيقَ

الجالس أمامها

بوجه كالح تعلوه تجاعيد

وندوب وبؤس..

يا لقلب أمها

تلك المرأة،

تفتح ألبوم صورها

ونحو الجليس ترفع رأسها

ترمقه بحسرة النظرة

ثم تتذكر

تشرذ

تتجهم

تشرق بالدمع،

تتحب

تأوه

وتفرغ الكأس..

في العشرين،

كانت جميلة

جدلانة

ريانة

وردة يانعة تأبى الذبول

عرفت معه كل المتاعب

وكل الخطايا

وكيف تولد الرزايا
وكل المصائب
كيف تحول النضارة
وتختفي البشارة
وتموت العبارة
وكيف يشيب الرأس..

المرأة
الجميلة المليحة التي كانت
تشمخ بكبرياء
وبتنهيدة واحدة
تكفكف
من مقلتين ذائبتين
دمعتين
ثم تعب كأسها
وتبحث عن سيجارة..
في الزاوية المعتمة هناك..

فوق الكرسي المتآكل،
على المائدة المهترئة..
بينما الرفيق المتهالك،
يخني رأسه
ويلوك الكلام بيأس...

بقاياك..

قالت:

عندما فكَّرتُ مليًّا
رأيتُ أن تأخذ معك
البقايا..

لأنها كل ما تبقى لديك،
وترحل!

قال واثقا:

واستهزأؤه باد،
ترى إلى أين الرحيل؟
محال أن أجد عنك البديل..

قالت،

عُرِّي الإنسان فيك
يُجرِّدني

من دفء ما قبل الولادة،

وجودك!

يجب أن يعني الكثير..

كيف تنتقل ببلادة

بين شخير وزفير

وبنات الأفكار رانية

في ليل الأرق المزمّن

تغازلني .. تراودني

وتهدّد بالرحيل..

الأفكار هذي، أنا

تُظللّني من لفحات هجيرك

ومن سُهوبِ صحرائك

وتؤكدي،

هذا موطني وهويتي

وأنت من يجب أن يأخذ

البقايا..

ويهمّ بالرحيل..

قال معاندا مكابرا:

أُدرين؟

لن تسقط "الكتيبة"¹

ولن تقيمها أنت، قالت،

وضاع رجع الصوتين..

في زحام ساحة الفناء²..

وتلاشى في دوائر دخان

متصاعد من كشك هناك..

.....

(¹) الكتيبة: صومعة الكتيبة بمراكش شيدت في عهد الموحدين.

(²) ساحة الفناء: ساحة جامع الفناء، ساحة الفنون وقلب مراكش النابض المصنفة كمعلمة تاريخية إنساني.

حوارٌ سُفليّ

أيها اللهب المقدس،
تُرى تضرم لي شعلة الرضا
فأهنأ قرير العين بحياة ما أحب؟
أنكوي.. أمشي على جمرِكَ تزلفا
أترنم بميلوديا الرهبان القديسين
وأتزهّد في خشوع الدراويش النساك العابدين؟
هذا ما كان من أمنيات
قبل الرقاد الطويل..

وفي الفجرِ ما قبل الأخير للكون،
أنهض من تابوتي
أنفض عني غبار الزمن السفلي
أفتش في الزوايا
عن بقايا رفات أمل يتيم

أشعل قنديل زيت قديم
أنير لأجلس إلى كفني
كفني الذي كان يُقَمِّط أشلائي بإحكام
فك قطعة منه ومضى يحكي لي،
هو الذي يعي أكثر مني ما يجري،
بينما، في سكرة السكون كنتُ نائما
نومة الموت العميق،
عن أحداث شتى وطرائف
وعن غرائب وسفاسف
عن أحاسيس تميعت
وأخرى تسيأت..
عن سيرة زعيم حكيم
كما جاءت به الأساطير
عن سيرة حاكم لثيم
كما جاءت به التقارير
وعن شعب تشرّد

وعن شعب تمرد

وعن شعب تجبر واضطهد

وعن شعب تملق وتحذلق فتسيد

وعن أحوال تحول

وأقوام تزول

وعن خرائط ينقص طينها ويزيد عذابها

وعن خرائط يزيد طينها ويكبر وهمها

يا لسيرة الطين مأساة الكون...

يا لهولكم يا من تسكنون سطح الأرض..

يا لبؤس ورد تسقيه المذابح..

... وما يزال الهواء عفنا

فيك يا وطني الكبير...

والأزمنة صفراء نكراء

والنوايا ضحلة غريبة...

وأنت يا من كنت غريبا معذبا

ولازلت في عذابك تميم،

يقول كفني بعد أخذ ورد،

عد لنومك وعانق البياض
وانس الألوان والأشكال
والماهيات والعناصر
والضفادع والحكّام
والخنافس والمظاهر
وكل ما يتغير
وكل ما كان وسيكون
حواسك ليست لهذا العالم بعد،
مدارك المطلق، هم فيه..
قلت على رسلك، هنا،
وهناك الأموات ينتظرون
فقط هناك يملأون الكون صخباً
ونحن في سكون صاخبون
وما عاد يقلقني الانتظار
هو الآن خارج الزمن، خارج المدار
نظر إليّ كفني نظرة
أعرفها وتعرفني ويعرفها
لأنه يعرفني وأعرفه...

يلفني وأضمه...
وقال، أرح أشلاءك
وعندما تسكن الريح
سأوقظك.....
أخذت منه وعدا
وأخذ مني شكلا
بعد ترتيب الشظايا
وابتسامة موت
ويقين عاشق غائب
لم تعد تستهويه شمس ولا رغيـف
ولا عش صغير ولا رغيـف
ثم أمد أشلاء يدي
أطفئ فتيل موتي المشتعل
ويرجع كفني القطعة كما كانت
وأعود لتابوتي
للرقدة الأبدية
كي أنتظر...

أحداث

لكأني بالأحداث تغادر ركحها

تغمز للفراغ ..

تسابق نفسها والريح ..

وهمهم الكلام تغمغم أشياء ..

تطوي لفافات الحكمة تحت إبطها

وتمضي دون عناء ..

تجر خيال الشخوص في وجل

تستمطر انفتاح الآفاق

لا منتظرة

ولا حتى متوقعة ..

تولد من صلب اليقين ..

كنت بالكاد أشاهد بقايا شبه ثورة بالميادين

وإسفلت يناكف شدة الحر

والوطء

والعياء

والدم

والأين..

فأراني فيما يرى النائم الصاحي،

أصنع وريقات وارفة من خيالي

لأخصف على جهاد الغيّ ...

وعورات الفتاوى..

ومجون الأقنعة والأسمال..

أقيم للصبايا الهالكات في عز أنوثتهن نُصبا

أنحته من ثناؤب السنين ..

إلى أين يا أرض؟

وبمن تغرر أيها الوطن؟

ولمن تهب أحضانك؟؟

وتستبيح زمناك؟؟

مزمناً سقمك

وليلك طويل.. طويل..

انكساراتنا ذات الدورة الأبدية

يا رؤياي!!

تسخر من حكمتنا

من حنكتنا.. من عصورنا الخالية

ترمي بما تبقى منا

بغيابة الزيف..

والأحداث ما تزال على سفر!

تمتهن مخاطبة التلاشي

تشهد انفجارنا العظيم..

والركح طاعن في الغياب

وتوزيع الأدوار

يفتح الحبكة على عدم

والمُشاهد بمكانه،

تستهويه الفجاجة

لمن عساه يشهد بما يرى؟؟

لدوي النُّهى..؟

للعايشين...؟

أم للحالمين؟؟

.....

شطحان

بأفق عينيك..

حيث يشرق الوجد عادة،

كان الإبحار.. بدءا وختاما

وفي لجة هيبى أدمنتُ الاحتراق،

كيما تزهر جذوتك..

يحترق مني الحرف كلما اتسق

أنثر الرماد بردا وسلاما

كسهاد بحنايا القلب..

لأخلد فيك مثل حبّ تعتق،

فلطالما أخذني إليك الحنين،

وعرّج بي على فتون الألق..

لم تعد ذاك الذي

خايلني

راقصني

وعلمي

فنون العشق

وكنت ألقاه بأحلامي الخالية،

إنما ذلك الذي تنفضح نظراته

من عينين جامدتين باردتين..

يضمنيها الأرق

ويسكرهما التوق الأبدي

للحرب..

للقتل

للدمار..

لدم الضحايا..

ليس إذن غير دم الطاهرين،

يعطيك سر الخلود

فاعلم أنك عاشق موله من لغو ومن ورق

ومن فراغ سديمي

أنتهي إليه

وأستعذب فيه الغرق..

والآن، بعيدا..

وقد خلوتُ منك،

تهيم الروح ولهي ..

طوحها شطحات سكرى

من نشوة ونزق..

ومن عدم إلى عدم

من تفتق العناصر..

ومن بين شقوق العدمين يا ملاكي

وهنيهاً الغيم والإشراق ..

حاق بنا همُّ الوجود،

وتولدت فينا معاني القلق

وبين هذا وذاك،

كنتُ وما أزال ملك يمينك

أنا الرّا قصة دوما لا طربا،

بل جرحا

ذبحا

نُزُفَا

حزنا

على مذبج الأُم والشوق لك.

مقامات

أذوّب المساءات عشقا
في فناجين معمّدة بغربتي،
من معتّقة تجود بها الأهداب
تضمّخ العمر وتؤنس وحدتي..
يراقصني الألم إغراء
يهديني فالسا
في الهزيع القاسي؛
يا مقامات الوجع،
يا نهاوند شكي وتمرّدي
أشق لك صدري كل صباح
وأهبك سري غير المباح
.....

يا حجازَ النوى.. يا صيبَ الولى

ورجفةً تودّدي

لعنةُ أنت أم عشق مجنون قديم؟

لفحته نار ليلي

حين لمعت في الأفق البعيد

حيث لا حقيقة ترجى

ولا عطف خلّ حبيب..

يا صباً يشكوه ملح أدمعي

جذورك غير قابلة للاقتلاع،

جئت بعد السقوط

في عزمك الالتحام والبقاء،

فأودت بك رياح الأمزجة

وتعكر صفوك

بدموع السماء..

يا حصاراً يحكي بؤس انتظاري
ولا سبيل إلى خلاص..
خُذ سقطتك ووهمك النرجسيّ
وولّ وجهك صوب الريح
واطلب العواصف
عسى أن تحرك من مكرِ النوايا
ومن غوائل القنوط..

يسامرني العتاب
يجثو بالقرب مني
يقاسمني سلافة الغياب..
ومقامُ العَجَمِ يغيب عنوة
وفيّ يعيث مراوغة
وسعيراً..

كيلا يهيني هداة الحزن
ونثيث رضا..

ويا مقامات الوجود
اشتدي.. كوني لي حضنا
لا يفتر دفؤه بين الحنايا،
حميا شعرٍ تسقيني
حتى الثمالة

.....

لفاءٌ أخير

لتحتفظُ بحرارة دمي..

وبرعشات قلبي العصية..

أنا لا آتي كل يوم!

والزخم الجنيني في أحشائي

لا يولد كل يوم..

ليكن وهما، حلما، عشقا جميلا..

ما يحملني إليك،

ما همّني..

ليكن إعصارا ويمّ شأبيب وهلاكيا..

فهل لك أن ترعاه بهواء وماء؟..

أيها السأم الآتي من وجع السنين..

كيف تعدني

بالفرحة الغائبة؟

وتملأ حقولي جهرا وسرا بالياسمين

لا تغريني الأغاز،
لكنك جعلتها تنمو فيَّ أبدا
تفكها فتخدعك،
وبالمتاهات تغور فتفزعك..
لن أتضرج هذي المرة قربانا
على مذابحك الصارخة الآثمة
والأسنة بالقهر..
بالدموع وباليتيم قرونا،
سأجلو عني
الأطيار الخوالي
منها والغاديات في دمي..
وأتحجر دمعاً عنيد النزول،
ولتطأ قدماك مسالك الزجر
ولتجرؤ على ذري من مآقيك،
أنا لحظة حاملة كالأطفال،
لن تغتصبني..
لن تكسر في طفولتي الهاربة

حيث لن تسعفني منها غير ذكرى

على مشارف موت الكلام مني..

وفي ساعات اللاجدوى المريعة

لن يتهيأ لي حتما،

أن أهديك نهدا،

وعطرا

بل عناقا فاترا كنت تستحقه

يوم الوداع

وأسلم النفس الأخير..

سقوط

سقط منك الروح والجسد!

هل تهون الروح؟

ويبخس الجسد؟!

أيا أسطورة لما تنزل

تسكن الأبد

أنيري الوهم الأزلي فينا

اشحذيه..

خلخليه رجاء

نحن قوم جئنا له عاشقين

حتى آخر نبض..

وإن شئت،

نحن سادو- مازوشيين

غير الإيلام لا يرضينا

لتوهم إذن ونمضي

ما ضَرَّنا؟!!

لو بخلقنا بزجاجية الحمقى

في مسرح إجهاضنا

وسرنا أحياء أمواتا

في جنازتنا الأبدية

من غير طقوس

ولا حتى رفة عين

نلوك دماءنا الفاسدة

وأعمارنا الهاربة من بين أيدينا

ما ضَرَّنا؟!!

وهذا الوجود المعلق

المنتظر يأسا

لو يسري في فضاءات درب

غادرته أسراب المحال

لو يقفز فوق منارات وهمه

ويفك رموز صبح جديد!

ما ضَرَّنا؟!!

ما ضررنا؟!!

لو التهمتنا النار الباردة

لو سفحنا فراغ

الرؤوس والأفئدة

ما ضررنا؟!!

إن كنا أتينا هذا عن جهل منا

أو عن اضطرار

إن عن حاجة وخوف

أو عن محض اختيار

منتهى الجزر والمد فينا..

يشفي عند السؤال..

أية حال؟

وأي مآل؟

أنوثه..

تعلم أن تراني خارج

إطاراتك الضيقة

وقناعاتك الجاهزة..

أرقصُ لشهقة الافتتانِ

بمساحات المستحيل

التي بيننا...

واقبض على فناء الأحداق في النقطة

التي تستهويننا وتحركنا..

كيف تصعقك

امرأة في خدرها

مسجونة الطلة

تثتم شعاع الحياة

من شق باب..؟

ألا يجلو

لامرأة السيد أن تتبخر

من بين جلايبه

ذات مساء

وذات اشتها؟

كيف تدهسك أخرى

عند رصيف المهانة والابتذال

وحانات البؤس..؟

وكان روحك

لم تأنف من تشظيها!؟

ليست في خدر ولا وشاح،

وليست ابتسامة مثيرة،

ولا نظرة خادعة..

ولا غنجا بقد...

الأنوثة صعقة روحك

وإشراقها..
حين تفتُّح أبعادك جميعا
وتبرعُمك
حين طلوع فرحة شمس
ورقصة لا إرادية
لصرخة جسد يزغرد عمره
يخرج من العتمة
إلى الضوء.
ومن مولد رؤية،
من نخوة.. من كبرياء...
من عمق.. من فتنة
من سر وبهاء...
يتفتق سحر الأنوثة
ليصبح امرأة
على مرمى انبهار.

معنى أخضر

آه.. كيف يغيب الدفء

ويحضر في آن؟؟

مثل الشمس الخجولة

... تنزف خيوط دخان،

في صباحاتي الماطرة،

وكما تلتصق الشفتان

بالكلمات المرمية الندية

والموسيقى العسلية التي

تطوف..

تأبى أن تغادر العيون

ترنو.. تهفو..

على أفنانها

وتتوق..

تألق المعنى الأخضر

في يومي

ليغدو فصلي الربيع

هل تغير شيء من حولي..

أم أنا من تغير؟

سأدفنك في اللحاظ التي

لا تغفو..

وسأطبق عليك دنياي التي

من طيب وعسل..

لا أفكر بإحراق تخوم الحلم

المرصعة بتغاريد عدنية

وبخريير ماء كوثر..

يا لحضورك الدافئ

الأخضر.

.....

موجائنه..

ذاب الكلام في مقلتنا

فصر فناه بكاء..

وغاب في انفراج شفتنا

فصغناه غناء..

وتساقينا الشهقات..

من حدود تكفكف العبرات

ومشينا.. مشي العاشقين

نبتلع حزننا..

ترقبنا نجمة ساهرة

عيوننا الضوء والذكريات

أوقدناها شمعة لشفق مغادر

لحلم مناور

فيما الريح

تزجر في كهوفنا المتوارية

قلت لي، هاهنا عند منتصف الحب

وعند رحيل النهار،

أتعمد كل يوم..

أسألك.. والخبز والنيذ؟

تضحك سهوا للمغيب

وأضحك قسرا للغيب

وفي غفلة من عيون الرمل،

وعلى آخر صخرة التوحد تلك

حيث يلثم اشتعال الزبد سواد الليل،

يمنح البحر نفسه جاثيا

عند قدمينا المتعبة العارية

ويرسم بوِصال المد

تناسل الشفاه الباسمة

على صفحات من حنين وشفاء

واستنساخ صور تكونت لأجلنا

لأجل الارتقاء

لأجل الانمحاء..

لأجل التكون..

وبجفاء الجزر

يتتزع آخر الكلمات..

يأخذ الشفاه..

صدي الضحكات..

الصور..

التموجات

وهدير الموجات..

موجائنا..

موجاته...

ويرحل.....

كُوبِرا

وتختبئُ هناك،
بِغور دغلك السرمدي
تبحث عنها..
في أخبية الأبجدية
تستدرجها إلى مكنك
تتحسسها.. تلتف وتشمها..
تدغدغ مسامها
وتتسلل زاحفا إلى أعماقها..
تجدل حبل غبطتها،
تراود أفكارها،
وتتقرى هذيان الوقت في زفراتها..
لتعبث بسامق أزهارها
بأقاصي ضفاف التيه
ومن ألوانك تختم

وتهدى اللقاح المكنون..

وتلف

من غير هوادة

ثعبان الكوبرا!

لفحيحك نفخُ روح ونماء..

صَلْبُ جدع تعرّى من وهمه،

وتذرية حطام ارتواء..

وهوى وجدّه يتلوى إغراء وحياء..

يرقصُ

يأخذ.. ويفيء

يدنيها خصبا وارفاء..

يبعدها قفرا جائح المعنى..

يحممها من شوائبها العتيقة،

يلبسها بردة الغنج،

لهتك سرها..

يزرعها على بعد خطيئة

كأحلام صغيرة

في حقول البيلسان والسوسن والياسمين..

ويسقيها ماء الدهشة الخفيف،

يعللها بسراب الحنين..

فتميس لهفيف جنونك

لصرير الغواية فيك..

لفحيح الرغبات الشاردة..

لهسيس النار في الأحشاء

ولحفيف أجنحة الفراشات الأكثر خفة،

لأطياف المتبقي من أحلامك الطريفة،

وتهرب من سرّ اليواقيت وبهجة الجلنار إلى يديك

والأمل ينضجها على مهل

على لهب الترقب والبشارة

وتلفُّ

من غير هوادة

ثعبان الكوبرا!

قُل ما أنت؟

أنت إله عشقٍ ساخط؟

ألم تكفك كلُّ تضرعاتِ صرعاك؟

أتروي رحيق فتنة

لترتوي حريق صباية

وعذابا أزليا..؟

أم إله غوايةٍ غاضب

ترضيك رائحة شبيِّ القلوب الملتاعة؟

ما أنت؟

كل ما نعرفه،

أن أفكارا ستفقس

ورياحينا ستزهر

وأنت تخاتل وتخادع

وتهادن وتراوغ

وتلف..

تستهويك الأدغال

ترشف نسغ التوق..

وترجّ هداةً عابرةً للشوق

يثمر فيك الدهول

جداول خيبات..

تغازل خلاياك المترعة زهوا

تنضر جنان الروح

همس أنفاسٍ وأمنيات

وسحر أغنياتٍ وكمنجات..

وخربشات الأنامل لوحات..

وتصدح كأرغنٍ دوزن أوتاره

لتوقيع الفالس الأخير

من عشق الجنون

في عمر قصيدة..

تغزلان من وحيها جناحين

وعاليا تطيران

على هودج الريح..

ومن كل السماوات،

تقتنصان للموت نغمة

على مقام الفناء
وتلفّ.. تلفّ..
من غير هَوادة...
يا ثعبان الكوبرا!

حِلاَبَةُ عُمَرُ

لِشَفْتِيكَ عَمْرٌ وَقَضَى...،

أَخَذَ مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الْهُوَى

وَمِنْ وَرِيْقَاتِ وَأَغْنِيَاتِ وَأَهَاتِ

وَمَضَى...

وَالْقَلْبَ الَّذِي كَانَ مَنْفُضَةً

انْسَحَقَتْ فِيهَا آخِرَ نَشْوَةِ قَاسِمَتْنِي الطَّرِيقِ

أَوْدَعْتُهُ لِسَدِيمِ الْجَحِيمِ..

وَعَصَصَ لَا تَبَالِي بِالرَّحِيلِ

وَأَدْتُهَا حِينَ كَانَتْ تَهِيمُ،

وَسَلَمْتَهَا لِلْهَيْبِ الْحَرِيقِ..

تَوَسَّدْتَنِي الْهَمُومُ يَا قَصِيدَتِي

أَتَضْنِيكَ مَرَارَتَهَا

أُمُّ تَوْشَحِ

صدرك البض الأسيل؟

رأسي أثقلها ما بي من هوى

أهب آخر أوراقي

فهل تصمدين؟

أم للعراك تتأهين؟

تتقدمين.. تبغين هلاكي

فبلسمي بحميا السكينة أوجاعي،

تمهلي..

وردّي نصالك إلى غمدها

فبعد حين،

سأمنحك الروح والكلمات

وما لم يطأه السواد

وأعللك بأخر فرصة للوصل

بطيف أمل جديد..

فتدلي وتغنجي

فهذه الحياة لا يليق بها الحداد..

وكننا.. ذات حب

على موعد مع حكاية،

نسقي مارِد العشق جموحاً وخيالاً،

فيشدد تارة جوعاً وغُللاً وضلالاً،

وتارة يرتد

إلى العمق نشواناً جذلانا..

كم من دماء مارت على مذابح الصبابة

باسمه..

وحرائق استعرت استعاراً

وليس من غير رماد الشوق

نتنفض كعنقاء

نستنشق عبير العشق،

ونرتوي

من ثمالة سهده،

حتى إذا ما نادى الرحيل،

وَجِلْنَا وَضِعْنَا وَثُرْنَا،

وشددنا الركاب

إليه سيلا..

ثم كنا..

وكان ما كان،

وكان

لشفتيكَ عمر وانقضى..،

أخذ ما كان من ذكريات الهوى

ومن وُريقات وأغنيات وآهات

ومضى...

ومضى...

يا لصوتك!..

تكلم...! تكلم...!

يا لصوتك!

ينبض شهى الخفقان

ينثال رقراقا..

يراودني على مهل

يداعب المدى

يهدهدي .. يلاعيني..

يذكرني بالزمن الطفولي الذي كان..

ويُمشط شعري بأغنيات الزمن الجميل

يجدل ضفائري من تنفس الحقول وطمي الجداول

بشرائط من النارج وشقائق نعمان

ويُفصل تنانيري ألوانا من زهو العصافير الغربية

ومن كل الجهات، يطوف بي

ويهديني

شعرا.. موسيقى.. وتراتيل
ويهمس لي بالوعود الخالية
يفرش لي الطريق بالحكايات
والهذيان والأغنيات..

تكلم.. تكلم.. ولا تنتهي..!
أشعر في صوتك بدوبان كل اللغات
وانحسار المسافات
فأنمو همسةً همسةً
تستيقظ حواسي.. لمسةً لمسةً
تزهو وتورق أفناني..
أنا العاشقة الناسكة بمحراب الولع
أتلو أورادي سُبحةً سُبحةً..

تخشعا وهياما

يا لهذا السحر الملون بشهوة الحياة
بشغف الشفاه في النهارات القائظة..
يناغي الأشجار برقصة غجرية

ويبعث النسبات رسولا
يغازل أجساد الصبايا المليحات..
ويفعل في روعي
ما لا تفعله الهمسات..

تكلم .. تكلم ..! يا كلیم الروح..
دعني أذوب في شجى النوات
المدوزنة على مقام الوجد
سأقدم الندور،
وأهرق خصيب العطور..
أنظر، .. أنا لا أهاب الإعصار
متربصة بالريح
لأبذر عنوة أريج الهوى
فيتناسل البنفسج غواية على قَدْر الجوى
وتحملني نوارسك في رقصات
على هدي فراشات تعانق الضوء والمحال..
فأغدو التكون والتكور والنضج في آن،

أغنيك شدوا ممزوجا بفوضى العناصر

كعرائس يونع الحبق من أعطافها

والسرّ الشهى صوتك

وسريانُ ذبذباته في حرارة جسدي،

تموجاتُ أفكار تجرفني

بعيدا عن لوعة الكلمات

كسادرة في العشق

تخطر على حرف الجموح

لتمسك بزئبق الشهوات ...

شفاً بالروح

جائت على شفا ليلنا
يناغينا شدو الأمل
دنيانا وتر، حور وأشواق..
وشذا عطر قديم
نتذكر أورفيوس اللحظة
يؤثث الذاكرة الحبلية..
بالآف الأكاذيب
يعزف سيمفونيته الخالدة
يشذب المعنى
ويموهه بشتى الأساليب
نستشعر زمن الوحدة..
والموسيقى التي ظللت الكون
وما ترسب فينا من سحر
الزمن الجميل..

تسري في أوصالنا كالدغدغات

كذروات عشق

تغزلنا شتلات زهر

تراقصنا شغفا

تبادلنا الهوى والجمال..

هل كل جميل كذبة؟

وكل سحرٍ خدعة؟

نردُّ به الغول الساكن فينا؟

الجميلُ حقا

ما يسعد

ولو كان وهما،

وسحر فن يرفع

عن الطين وبلائته..

ويرمم على مهل

شظايا الروح..

سبدي ..

سيدتي،

لمن يشرق الحزن في عينيك،

ويقطر الندى..

من وجتتك كل صباح؟؟

ولمن تفر شفتاك عن ابتسامة مكتومة

تسقي نبتة الأسي الياضة بالأعماق،

وتشيع الأسارير لاقتفاء الأمل

بسحر الوشوشات وهمس القبل..

وغبطة الملكات..

أيا امرأة موشحة بألوان الطيف،

بالبسيط الداكن الموشى

بقلق الطبيعة

واكتناز اللحظة..،

وتيه الوقت

وقشعريرة الرغبات..
ها يتوقف الوجود حائراً،
يمثل بين يديك،
ويلامس خفايا الفتنة فيك
فيرتسم على
نظرتك الساهمة..
وسحرك الأزي
وسر القلق المطرز بالوجوم
عسى يجرر الثنايا
من بلاغة السديم
ومن مكر المواجه الرابضة خلف المقلتين..
أيها الكون!
يا من تشع طوعاً
بالفرح والحزن وما بينهما،
إهتف لنا موسك الهادئ
بالسر
بالشوق

وبالبشارة

بما يقاسيه الوجه الوضيء..

في العتبات..

وبمَن جعل السماء تمطر قسرا

تشف بالهمهمات وبالصهيل

تشت بتفاهة الأحران

وبصراخنا المزعج الممض

ويإبادتنا

لغصن الزيتون ورفيف الحمام

لفلِّك وزهرك الأعطر

وبأننا، في النفس الأخير،

خبا منا البريق

وأضعنا الطريق

ويا سيدتي،

لعلك في عليائك تضحكين

من فوضانا..

ومن الزمن الهارب منّا

فجودي بابتسامة غراء
تبعث الدفء جهارا
بأحشاء الكون الموحش البارد
وارعني جمالا
هذهديه بين ذراعيك
صنوا مقبلا أهدى الدهر
في عينيك..

فهرس

3.....	إهداء
4.....	تنويه
5.....	تقديم
15.....	رهان
19.....	يا أرض
23.....	في عيد الحب
26.....	ريثما
30.....	قبس من نار
36.....	أبجدية
42.....	امراة من هناك
46.....	بقاياك
49.....	حوار سفلي
54.....	أحداث
58.....	شطحات
62.....	مقامات

66.....	لقاء أخير
69.....	سقوط
72.....	أنوثة
75.....	معنى أخضر
77.....	موجاته
80.....	كوبرا
86.....	حكاية عمر
90.....	يا لصوتك!
94.....	شظايا الروح
96.....	سيدتي
100.....	الفهرس

مهيدة عفيف

من مواليد مدينة مراكش
حاصلة على الإجازة في الآداب
(شعبة اللغة الفرنسية وأدائها)
موظفة

• قبل الطبع:

- رواية بعنوان: "موال أطلسي"

- ومجموعة قصصية تحت عنوان: "في انتظار حب الرشد".



الخلْمُ والخُلُقُ والصَّنعة. مكوّنات ثلاثة متماهية متمازجة في ديوان "ريثما". حلمٌ بكونٍ أفضل وأجمل وأبهج وأعدل وأكثر تماسكاً وتناغماً يحلُّ محلَّ نشازه واضطرابه وفوضاه! إذ لا شيءَ فيما هو كأنَّ مُنجزٍ ومكتملٍ ونهائيٍّ، بل هو في طور التكوّن أو التكوين. وخلقٌ يعيد صياغة الحياة والكون والإنسان على نحو فريد في لوحات متحركة ملونة ناطقة تستفهم وتستغزُّ وتثير وتدهش وتضيء وتصدم وتُرخي وتُغزغ في كينونة تمزج الروحاني بالمادي، والحلم بالواقع، والصوفي باليقيني، والمطلق بالنسبي، والأسطوري بالمائل، في بناء متقن الصنعة ومُطرزٍ بعين بصيرة بارعة ويد حانية، ولغة مبدعة رقيقة وحازمة حاسمة معاً. قصائد "ريثما" عالم جمالي وفكري متناسق لا يؤمن بالاحتمالية الأحادية بل يعتقد بتعدد الاحتمالات، ويؤمن بتنوع الرؤى والقراءات، مع قناعته بوحدة الإنسانية والإعلاء من شأنها بوجوهها الثقافية والجنسية. هذه الرؤى المابعد حدائية تهدم بلطف عوالم فسدت وأفسدت، وفشلت وأفشلت سياسياً واجتماعياً وثقافياً وإنسانياً، وتطمح إلى كينونة ملونة بريشة رسام برع في مزج الألوان والروائح والأطعمة والأنواق وتجاورها وتداخلها وتشابكها. ثلاثية الحلم والخلق والصنعة أنضجت عالماً شعرياً ممتازاً ومتميزاً، هو عالمٌ لا تفي له كلماتٌ قليلاً شيناً من بعض حقه. هذا هو ديوان ريثما. هذا الديوان البكر والباكورة جدير بأن نلتصم قراءته على مكث وروية وبصيرة.

د. عواد أبو زينة

كاتب وباحث فلسطيني